الوحدة 7 العقل في القرآن الكريم

اعـــداد
أ. جمال مرسلي

7- العقل في القرآن الكريم (ساعتان)	- يتعرّف على منزلة العقل في القرآن الكريم.	المكتسبات السابقة: قيمة العلم (1ثا) + العقيدة الإسلامية وأثرها على حياة الفرد والمجتمع أوّلا- مفهوم العقل ثانيا- أهمية العقل في القرآن الكريم ومنزلته ثالثا- دور العقل في تمحيص الأفكار والموروثات رابعا- حدود استعمال العقل خامسا- الأحكام والفوائد	نشاط1/ بتغذية راجعة يستذكر الأستاذ مع المتعلمين انحراف الرسالات السماوية السابقة، بالدليل العقلي، وكيف أن العقل السليم يرفض عقائد اليهود والنصارى الباطلة، والإشادة بالعقل اذ به نميز بين الحق والباطل. نشاط2/ يسترجع الأستاذ مع المتعلمين المواقف الشركية التي تعرّفوا عليها في وحدة العقيدة الإسلامية ويناقشونها. نشاط3/ بتغذية راجعة يستذكر الأستاذ مع المتعلمين الحِكم والأسرار في عبادة الزكاة أو الحج، ثم يطلب منهم بيان الحكمة من تقسيم الصلوات المفروضة إلى خمس صلوات في اليوم، وأسرار تحديد عدد ركعات كل صلاة. ليتوصّل معهم إلى حدود استعمال العقل.

* أوّلا ــ مفهوم العقل *

العقل هو: **"قوّة وملكة أنيط بها التّكليف".**

* ثانيًا ــ أهمية العقل في القرآن الكريم ومنزلته *

ــ لقد أولى القرآن الكريم العقل أهميّة كبيرة، وأعطاه منزلة عالية، وكرّم الإنسان به.

فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70]

وترجع أهمّيّة العقل في القرآن إلى:

أ. أنّ العقل منشأ الفكر، وأداة الإدراك والفهم، وبه تميّز الإنسان عن باقي المخلوقات.

ب. قدرة العقل على إدراك الأحكام، والاجتهاد والتّجديد، ووصل الدّين بالواقع، وضمان مبدأ الاستمراريّة في الإسلام.

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: 269]

ج. العقل مناط التّكليف، فالتّكليف خطاب الله، ولا يتلقّى ذلك الخطابَ إلاّ من يعقل. بخلاف نحو: (المجنون والصبيّ).

ــ أمر القرآن بالتّدبّر للوصول إلى المعرفة الصّحيحة والإيمان المبنيّ على العلم. ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: 24]

* ثالثًا ــ دور العقل في تمحيص الأفكار والموروثات *

بالعقل يتمّ تمحيص الموروثات القديمة والأفكار الجديدة من خلال:

ــ وجوب غربلة ومحاكمة الموروثات والأفكار إلى الشّرع من حيث القبول والرّدّ.

ــ تنقية المنظومة الفكرية لدينا من الفكر الدّخيل الوافد من الغرب كالإلحاد والاستشراق.

ــ تصدّى القرآن الكريم للأفكار المخالفة للعقل بالحقائق العلميّة.

ــ العقل يحذّر صاحبه المتشبّع بالعقيدة الصّحيحة من الجمود والتّقليد الأعمى والخرافة والجهل.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف: 15]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 170]

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [يونس: 66]

ــ ناقش القرآن الكريم المنحرفين القائلين بوجود الكون صدفة بدون خالق، وأطلق على هؤلاء المنكرين لوجود الله -تعالى- اسم: **(الدَّهْرِيَّة).**

وفيهم قال الله -تعالى-: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الجاثية: 24.

ـ هؤلاء الدّهريّة المنكرون للألوهيّة هم أقرب الكافرين من الملاحدة المعاصرين.

ـ الحقائق العلميّة الموجودة في هذا الكون تردّ على الّذين ينكرون وجود الله -تعالى-.

من أمثلة هذه الحقائق:

ـ ينزل المطر من السّماء على الأرض، فيخرج منها أقوات وثمرات، مختلفة الألوان والطّعوم والرّوائح، يعيش الإنسان عليها، وتخرج من الأرض أيضًا أعشابٌ وحشائش متنوعة تعيش عليها سائر الحيوانات.

هل الطّبيعة هي الّتي جعلت الماء واحدًا والأرض واحدة والنّباتات مختلفة الألوان والطّعوم والرّوائح، أم أنّ هذه الأشياء أوجدت نفسها بنفسها؟!

إنّ اختلاف النّباتات في اللّون والطّعم والرّائحة دليلٌ واضحٌ على وجود إله عظيمٍ، خالقٍ لهذا الكون، مستحقٍّ للعبادة وحده.

وصدق الخالقُ العظيم حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝10 يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: 10، 11.

وقال سبحانه: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الرعد: 4.

ـ هذا المنهج القرآنيّ في تمحيص الأفكار المنحرفة اتّبعه علماء الإسلام في تمحيص الأفكار والموروثات.

ـ مثال ذلك ردّ علماء الإسلام على المستشرقين، وهم الكُتّاب الغربيّون الذين يكتبون عن الفكر الإسلاميّ، وعن الحضارة الإسلامية.

ـ من انحرافات المستشرقين:

الشّبهة 1: إنكار السّنّة المسندة، بدعوى أنّ تدوينها بدأ في منتصف القرن الثّاني الهجريّ، وأنّ الفترة السّابقة على هذه لم تشهد أيّ تدوين حقيقيّ لها، والفصل بقرن عن عصر النّبيّ ﷺ كفيل بوضع علامة استفهام كبيرة على الأحاديث الموجودة اليوم في أيدي المسلمين.

الرّدّ على الشّبهة: ـ لنفرض أنّنا لم نعثر على كتب ترجع إلى تلك الفترة، لكن هذا لا يعني عدم وجودها.

ـ لم يمنع تدوين الحديث في عهد النّبوّة مطلقا، ولا بعده.

والعجيب في هؤلاء المستشرقين أنّهم ينكرون السّنّة المسندة، ويمجّدون أقوال فلاسفة الإغريق واليونان غير المسندة.

الشّبهة 2: وضع جميع كتب الحديث والسّيرة وجميع ما فيها من الأحاديث النّبويّة تحت شبهة الكذب.

الرّدّ على الشّبهة: أنّ علماء الحديث قد وضعوا شروطا مشدّدة لغربلة الأحاديث، ومن الكتب ما كان همُّها الجمعَ فقط، ومثلها كتب السّيرة، فلم يُتشدّد فيها.

* رابعًا ـ حدود استعمال العقل *

ـ يستعمل في التدبّر في الكون وفي الأمور التجريبية.

ـ يستعمل في الكشف عن أسرار الخلق وآيات الكون.

ـ لا يستعمل في الغيبيات والعقائد التي لا تُدرَك إلاّ بالوحي.

ـ لا يستعمل في الأمور التعبدية المحضة، فلا يُبحث عن الحكمة من بعض الأوامر التّعبديّة إلا ما كشفه الله لنا.

* خامسًا ـ الأحكام والفوائد *

نصٌّ مختار كتطبيق لاستنباط الأحكام والفوائد:



1 ـ تحريم التقليد الأعمى. (حكم)

2 ـ وجوب اتّباع ما أنزل الله (حكم)

3 ـ المشركون يتّبعون تقاليد آبائهم المخالفة لما أنزل الله. (فائدة)

4 ـ القرآن يحثّ على إعمال العقل لتمحيص الأفكار والموروثات. (فائدة)